الكتابة بين السريانية والعربية

الدكتور/ محمد علي الزركان
كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة حلب / سوريا

تمهيد

بدأت محاولات الإنسان منذ أقدم العصور للتعبير عن أعماله وما يجرى في ذهنه بأسلوب يبقى للمستقبل القريب أو البعيد.

ولقد عثر الباحثون في أماكن عديدة من الدنيا، وفي موطن الساميين خاصة على رسوم ونقوش ولوحات،تظهر أطوار الكتابة، ويتبين من هذه الرسوم والإشارات المنحوتة في جدران الكهوف، أن الإنسان بدأ يعبر عما يدور في خلده منذ أزمان بعيدة (1).

وفي الألف الخامس قبل الميلاد تطور هذا الأسلوب في جنوب وادي الرافدين ومصر القديمة، حتى اتخذ أشكالا وصورا ورموزا متتابعة تدل كل منها على كلمة، ويشير مجموعها إلى سلسلة من الحوادث، وسميت هذه الكتابة (الصورية) وفي الألف الثالث قبل الميلاد،راح شعب جنوبي الرافدين في تطوير الكتابة التي أخذت الإشارات والرموز فيها الشكل المثلث الاسفيني المسمى بالخط المسماري والذي تدل كل إشارة فيه على مقطع (2).

وقد ظهر بعد ذلك أسلوب الكتابة المقطعية في نواح عديدة من العالم، فظهر في مصر في مستهل الألف الثالث قبل الميلاد، وفي جزيرة كريت وفي الهند وفي الصين في مستهل الألف الثاني قبل الميلاد (3).

ولما كان الخط المقطعي صعبا ومعقدا لا حتوائه على نيف وخمسمائة رمز أو مقطع، إضافة إلى الحركات التي تعطي الرمز المقطعي الواحد معاني عدة، كا ن لابد للإنسان أن يتوصل إلى أسلوب كتابي أكثر بساطة وأقل تعقيدا.

وقد ظهرت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد كتابة تدل فيها الصور والرموز على مخارج صوتية تتألف منها المقاطع، وهذه بداية عهد جديد مشرق في علم الكتابة ، جاء نتيجة تطور طويل على مر الأجيال.لذلك يوجز الأستاذ طه باقر أدوار الكتابة بما يلي: (4)

1- دور الإشارات والرموز " الإشارة تدل على عمل ".

2- الدور الصوري والدور الرمزي"الإشارة تدل على كلمة" .

3- الدور الانتقالي إلى الدور الكتابي المختلط المسمى بالخط المسماري "الإشارة تدل على مقطع ".

4- دور الحروف الهجائية ، الدور الصوتي المجرد " الإشارة تدل على حرف".

الكتابة الأبجدية:

ومن أعظم مآثر الإنسانية في العصور القديمة هو ابتكار الحروف الهجائية الأبجدية، ذلك الإناء العجيب الذي استوعب تاريخ البشرية من جميع نواحيه. إن تساؤلات كثيرة قد ترد إلى الذهن... ترى متى تم هذا الإنجاز الفذ؟ من قام به ؟ وأين...؟ أسئلة بذل العلماء والباحثون مجهودات جبارة طوال قرون عديدة للإجابة عنها، إلاّ أن الحقيقة لما تنجل بعد، وما يزال العلماء تبعا للاكتشافات الجديدة، ينقضون نظرية ويبنون أخرى... كالنظرية المصرية وكنظرية ما بين النهرين، ونظرية طور سيناء وغيرها(5).

تفرع الأبجدية السامية:

مثلما انقسم الشعب السامي فيما قبل التاريخ إلى أقوام وقبائل كثيرة، وتشعبت لغته السامية الأم إلى لغات عديدة. كذلك تفرعت الأبجدية السامية الشمالية الأولى التي ابتكرها الساميون في سورية وكنعان إلى أربعة أقلام قديمة رئيسة:

1- **القلم السامي الجنوبي:** انتشر في حينه في جنوب شبه الجزيرة العربية وعبر البحر الأحمر إلى الحبشة، وانتشر بعد ذلك بين قبائل الجزيرة العربية، وتولدت منه الأقلام اللحيانية والثمودية والصفوية (نسبة إلى الصفا قرب حوران) في حين لم تقم له قائمة إلاّ في القلم الحبشي.

2- **القلم الفينيقي القديم:** تولد منه القلم الفينيقي المتأخر، وانتقل مع بعض التغيير إلى المستعمرات الفينيقية في شمال إفريقيا على سواحل البحر الأبيض المتوسط، كقلم قرطاجنة وقلم ليبيا القديم، كما تولد منه أيضا القلم الإيبيري (الإسباني القديم)، وقد انقرضت جميعها، ويرى العديد من الباحثين أن الأبجدية اليونانية (أم الأقلام الغربية كافة) اقتبست من الفينيقية.

3- **القلم العبري القديم:** تولد منه الأقلام التالية: الموآبي والآدومي والعموني والسامري، ولم يبق منها إلاّ الأخير على نطاق ضيق جدا.

4- **القلم الآرامي:** وقد تولدت منه أبجديات كثيرة.(6)

وهكذا يتضح للقارئ بعد هذه المقدمة السريعة أن الأقوام القديمة بناة حضارة ما بين النهرين ومصر وجزر بحر إيجه وآسيا الصغرى ووادي الهندوس والصين قد توصلوا إلى أسلوب متطور في تاريخ الكتابة، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من بلوغ الطور الأخير- أعني الطور الأبجدي- وهو ما توصل إليه الشعب السامي في بلاد الشام والعراق، وتلك واحدة من أعظم مآثر الساميين التي أورثوها للبشرية وسنتابع في الصفحات القادمة الفصول المتعلقة بالكتابة في السريانية والعربية وبما أن السريانية وارثة الآرامية، فقد مهدت لها بفصل لينير الطريق أمامنا في بحث الكتابة السريانية والعربية.(7) (ينظر الأشكال 1-2-3-4).

-الكتابة الآرامية:

سأتناول في هذا الجزء الكتابة الآرامية بشكل سريع لأنها تعدّ الأمّ التي غذّت بلبانها القلمين السّرياني والعربي. ولا غرابة في ذلك فقد اقتبس الآراميون كتابتهم من الأبجدية السامية الشمالية مباشرة، ولما غزت لغتهم ما بين النهرين في القرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد، دخلت معها كتابتهم الأبجدية السهلة

البسيطة. فلقد تهيأ للآرامية من الأسباب ما جعلها تنتشر في الشرق من أقصاه إلى أقصاه، لسهولة أبجديتها وبساطة اشتقاقها وقواعد نحوها.

ونظرا لكون القبائل الآرامية متاخمة، وأحيانا متداخلة مع الإمبراطورية الآشورية دون بقية الأقوام ذات الكتابة الأبجدية كالفينيقيين والعبريين والعرب الجنوبيين لذلك انتشر الخط مع توسع الإمبراطورية الآشورية التي شجعته ثم زاد ازدهارا في عهد الإمبراطورية البابلية الكلدانية وارثة الآشورية. فأزاحت الكتابة الآرامية الخطوط المسمارية بمختلف أنواعها، والخطوط الأبجدية السامية الشمالية كالعبري والفينيقي بفروعهما، وتعدت إلى اللغات غير السامية (8).

وآخر خط أزاحته هو الخط العربي الجنوبي(المسند)، وذلك حينما اختفت الخطوط اللحيانية والثمودية والصفوية في شمال الجزيرة العربية، ثم في جنوبها أمام الخط العربي المنحدر من الكتابة النبطية الآرامية.

ويلاحظ أنه لم يعثر على آثار للخط الآرامي بين القرنين الرابع والثاني قبل الميلاد إذ أنه العهد الذي تكونت فيه كتابات آرامية محلية كالعبرية المربعة والنبطية والتدمرية والحضرية والسريانية، فليس من السهل الكشف عن مدى تأثير الكتابة الآرامية في الطور الأول على بناتها كتابات الطور الثاني.(9)

يقول صاحب اللمعة الشهية(10): "أما القلم الأول الذي اخترعه الآراميون فلا يعلم بتحقيق كيف كانت صور حروفه فردا فردا. ولكن ذهب بعض العلماء في عصرنا إلى أن هذا القلم هو القلم المسماري الذي يرى في الكتابات المرسومة على الأحجار الكثيرة التي كانت مطمورة تحت الأرض في نينوى بقرب الموصل وأماكن أخرى. غير أن هذا القلم القديم تغير شيئا فشيئا في تتابع الأزمان حتى ذهب عنه الشكل المسماري وتولد منه قلم جديد مخطط الحروف، متشابهة حروفه بحروف القلم المسماري. وهذا القلم البكر منذ الأزمان القديمة تولّد منه أقلام كثيرة مشابهة بعضها لبعض مع اختلاف أزمانها وأماكنها. أما ما هو معروف اليوم من هذه الأقلام المتولدة من القلم الأصلي، **فأولا**: القلم السامري الذي كان اليهود يستعملونه قبل جلائهم إلى بابل، وإلى الآن يستعمله السمرة القليل عددهم. **ومنها** القلم الفوني أو الفونيقي، أي المكتوب على الأحجار القديمة التي وجدت وتوجد إلى اليوم في الجانب الغربي من بلاد الشام. **والقلم** التدمري المنقوش في آثار مدينة تدمر المشهورة وما يجاورها. **والقلم** الذي يسميه علماؤنا بالنبطي وهو الذي كان يستعمله جيل من السريان في بلاد الشام وبلاد العرب يقال لهم النبط. ومن هذا القلم نتج القلم الحميري العربي الذي منه تولد القلم الكوفي ومن هذا نشأ القلم العربي المعروف اليوم الذي يقال له النسخي.(11)

وأقدم قلم آرامي اتصل بنا عهده في الكتب المسطورة هو القلم البابلي المستعمل في زمان كورش ملك فارس. وهو الذي تعلمه اليهود في جلائهم إلى بابل وبعد رجوعهم إلى أرضهم في القرن السادس قبل المسيح، لم يزالوا يستعملونه إلى يومنا هذا ، ويسمونه القلم الآشوري، والسامريون يسمونه اليهودي، ويسميه علماء الفرنج القلم المربع لأن حروفه أكثرها مربع تقريبا. وحروف هذا القلم تشبه كثيرا الحروف اليونانية فنرى أن

أقدم قلم آرامي حفظ لنا إلى يومنا هذا، و يستعمله الآراميون ولا يعرفونه، بل تستعمله أمة غريبة أي اليهود، وهم يحترمون هذا القلم الآرامي ويعظمونه غاية التعظيم، حتى إنهم يتخذون كل ما يكتب به شيئا مقدسا..(12).

ولا أدري هنا كيف جعل الكاتب الأنباط جيلا من السريان، وكأن هؤلاء أصل وأولئك فرع، وهذا غير صحيح... ثم نجده يعترف هنا بأن القلم العربي الكوفي متولد من القلم العربي الحميري، في حين نجده في مكان آخر من كتابه ينسب القلم الكوفي إلى القلم السطرنجيلي السرياني.

تفرع الكتابة الآرامية:

دام العهد الذهبي للآرامية في ظل حكم الكلدانيين ثلاثة قرون، وأشهر ما وصل منها حكمة آحيقار المكتشفة في جزيرة (فيلة) في الصعيد المصري (13) والتي يرتقي عهد كتابتها إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

إلاّ أن الإسكندر الكبير لدى استيلائه على الشرق بعد أن قوض حكم الفرس الأخمينيين، فرض على الدولة الجديدة اللغة اليونانية، لغة رسمية عوضا عن الآرامية ففقدت الأخيرة عوامل وحدتها وتفرعت إلى لهجات أهمها: لهجة فلسطين اليهودية سليلة آرامية بابل الكلدانية، واللهجات النبطية والتدمرية والحضرية والرهاوية. كما بقيت في جنوبي ما بين النهرين لهجة أخرى هي المنداعية، وكان عامل الدين سبب بقاء اللهجتين الفلسطينية والمنداعية (أي لهجة الصائبة)(14).

وعلى أثر تقسيم دولة الإسكندر المكدوني الغازي بعد موته بين قواده، ووهن هذه الدول تحت ضربات الجيوش الرومانية الزاحفة نحو الشرق، قامت بعد مدة دويلات أبقت على لغتها الآرامية، منها دولة النبط ودولة تدمر ودولة الحضر ودولة الرها وما حدث للغة الآرامية حدث أيضا لكتابتها إذ تطورت منذ آثارها الكتابية الأولى في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، نحو التدوير مع شيء من التربيع، فبينما كانت تكثر فيها الزوايا في أدوارها الأولى، أصبحت شبه مدورة في أدوارها الأخيرة... فنشأت نماذج جديدة للخط الآرامي في مختلف نواحي الشرق، ومالت بعض تلك الخطوط إلى التربيع كالخط العبري والخط التدمري والخط السرياني السطر نجيلي. أما الخطان النبطي والحضري ففيهما التربيع والتدوير، وأما المنداعي فهو أكثر تدويرا.(15)

الكتابة السريانية:

أ- متى وأين نشأت:

يقول بعض الباحثين أن آرامية الرّها المعروفة بالسريانية هي الوارث الوحيد للغة الآرامية والتي لا زالت تعيش حتى الآن، بصرف النظر عن بعض اللهجات الآرامية الأخرى كلهجة أهل معلولا مثلا. فيكون الخط السرياني هو الوريث المباشر للخط الآرامي، وقد رأينا في المقدمة وفي بحث اللغة الآرامية كيف تفرعت هذه إلى لهجات عدة، مع ملاحظة اختلاف الباحثين في سرد هذه التفريعات اللهجية، ونسبة كل واحدة منها إلى الأخرى.

لقد اكتشف العديد من آثار الخط السرياني في طوره الأول، وأكثرها في منطقة أعالي نهري دجلة والفرات، وقسم منها في سورية وفلسطين، وسنتدرج من الأوضح إلى الأقل وضوحا ثم إلى المشكوك فيه.

أقدم كتاب مخطوط حفظ حتى الآن باللغة السريانية يرقى إلى مستهل القرن الخامس للميلاد وهو مخطوطة

طيطوس البوستري، كتبت سنة 411م وهي مخطوطة بالمتحف البريطاني. أما الآثار الكتابية النقشية فأكثرها اكتشف في الرها وجوارها، وفي أنقاض مدينة مطمورة اسمها (دورا-يورويس) التي تسمى الآن الصالحية وهي واقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات على منتصف الطريق تقريبا بين الميادين والبوكمال. وتتوزع هذه النقوش بين القرون الثلاثة للميلاد، وتعد تلك النقوش بالمئات إلاّ أنه يكتفي بإيراد قسم منها.

فبين الآثار التي نقشت في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي نقش عثر عليه في دورا نصه:(شكل5).

ومعناه: "حليصا بن سنق القرحاني تلميذ العلي مذكور أمام ا لله".

وهذا نقش آخر وجد في دورا من القرن الثاني نصه:

ومعناه: "هذا الصنم الذي صنعه معنو بن مقمي لأبجر الحاكم"(16).

والأهم من ذلك أنه وجدت آثار من القرن الأول للميلاد منها نقش (سرين) من سنة 75 ميلادية، وقد وجد على نصب قبر قرب قرية سرين التي تقع على الشاطئ الأيسر من الفرات، جنوبي غربي الرها بنحو مئة كيلومتر، وشرقي منبج ونصه:(17) (ينظر الشكل7)

ومعناه: " في شهر تشرين الأول سنة 385 يونانية أي 74 ميلادية، بنيت أنا معنو قسيس بدر ناحاى بن معنو بن شرود نحا هذا الناووس لنفسي ولبني ابن تسعين سنة من يسبح تباركه كل الآلهة، والعمر والحياة تكون له، ومن يأتي ويهدم هذا الصنع... ومغفرة لا تكون له وبنون، ليرموا التراب على عينيه لا يوجد له".

إلاّ أن أقدم أثر أكيد للخط السرياني عثر عليه حتى الآن هو نقش (بيراجيك) فإنه يرتقي إلى السنة السادسة للميلاد،وجد على قبر في بيراجيك الواقعة في جنوب تركيا وعلى الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد خمسة وثمانين كيلومترا غربي الرها ونصه:(18)(ينظر الشكل 8).

ومعناه: "في شهر آذار سنة 317 يونانية أي 6 ميلادية، أنا زربين بن أبجر حاكم بيرتا (القلعة بالسريانية) مربي غودنت بن معنو بن معنو صنعت هذا القبر لنفسي ولحويا ربة بيتي ولأولادي، كل إنسان يأتي إلىهذا القبر ويرى ويسبح تباركه كل الآلهة" (19).والمرجح أن هذه النقوش آرامية وليست سريانية.

ثم هل يرتقي الخط السرياني إلى ما قبل هذا التاريخ؟ إن المستشرق Diringer (20) يذكر أن أول أثر للخط السرياني هو من النصف الأول للقرن الأول قبل الميلاد، فقد عثر على أثر للخط السرياني في أنقاض دير مار يعقوب ذى القبور في جبل الرها يعرف بنقش الملكة (شدان) ملكة حدياب.(21)

ب- كيف نشأت الكتابة السريانية؟

تتضارب آراء الباحثين حول كيفية نشوء الكتابة السريانية، فمنهم من يؤكد أن السريان أخذوا قلمهم الأول من الخط التدمري السريع ومنهم من يذهب إلى أنه ناشيء من الخطوط الغربية، أي العبري المربع، والنبطي والتدمري. والمستشرق (فيفري)Fevrier يرى: أن التدمرية والسريانية متقاربتان، فيستنتج أن كتابة الثانية تنحدر من الأولى.(22)

وقسم من الباحثين يرى أن الخط السرياني لا ينحدر من التدمري بل كلاهما ينحدران سوية من الآرامي المشترك، وقد تأثرت الواحدة بالأخرى عن طريق التجارة والثقافة وغيرهما.(23).

ومنهم من يذهب إلى أن السريانية اقتبست صور حروفها من الخطوط الآرامية في أعالي دجلة وليس من التدمرية السريعة. وتدعم المستشرقة (جاكلين بيرين) (Jacqueline Pirènne) رأيها هذا قائلة: يقال إن الخط السرياني السطرنجيلي ينحدر من الكتابة التدمرية السريعة، غير أن هذه الأخيرة لا تظهر قبل سنة 150م و كل ما عثر عليه قبل هذا التاريخ هو من الكتابة التدمرية النقشية.فهل من المعقول أن يقتبس منها الخط السرياني الذي وجد بصورة أكيدة منذ السنة السادسة للميلاد؟ وترى أن الكتابة السريانية أقرب إلى الكتابات الآرامية في آشور والحضر وطور عبدين منها إلى الكتابة التدمرية السريعة. وبين الاثنين والعشرين حرفا سريانيا في طورها الأول أحد عشر منها يشبه حروف شمال وادي الرافدين، وستة تشبه الخط التدمري، وثلاثة الخط النبطي واثنان مستقلان.(24)

ومن القائلين أيضا بهذا الرأي(درايفرز) H.J.W. Dryvers ، حيث يؤكد أن حروف سريانية الرها، حسبما ترى في الآثار الأولى التي اكتشفت تظهر كيف أن الخط السرياني السطرنجيلي ينحدر من الكتابة السريعة على الرق في شمالي ما بين النهرين ومنهم أيضا إسرائيل ولفنسون، الذي يرى أن لهجة الرها وكتابتها قريبة من اللهجات الآرامية التي كانت شائعة في مناطق دجلة الشمالية.

والذي يتبادر إلى ذهن الباحث أن هذه اللغات أو اللهجات، لا يستبعد أن تقرض بعضها سواء كان ذلك في الصوت أو في الصورة، فمن الطبيعي أن يكون ثمة تأثير متبادل بين الأنباط والتدمريين المتجاورين، وهذا التأثير يظهر بصورة خاصة في توصيل الحروف وزواياها، وأن يكون تأثير متبادل بين الرها وتدمر المتجاورتين كذلك لا سيما في توصيل الحروف وتربيع بعضها، وبين الرها ومراكز منطقة دجلة الشمالية في أشكال الحروف بشكل خاص. (25)

جـ- تفرع الخط السرياني:

يقول ابن النديم في الفهرست (26):" إن للسوريانيين ثلاثة أقلام وهي المفتوح ويسمى اسطرنجالا وهو أجلها وأحسنها، ويقال له الخط الثقيل، ونظيره قلم المصاحف. والتحرير المخفف ويسمى اسكوليتا(27)، ويقال له الشكل المدور، ونظيره قلم الوراقين. والسرطا (28) وبه يكتبون الترسل ونظيره بالعربية قلم الرقاع".

فكانت الانشقاقات الدينية التي فرقت السريان في القرن الميلادي قد قسمتهم إلى فئتين متقابلتين: السريان الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية، والسريان الشرقي في الإمبراطورية الفارسية، فتطورت كل منهما في مختلف النواحي بمعزل عن شقيقتها. فكان شأن الخط لدى كل منهما شأن سائر نواحي العلم والحياة. فظهر على مر الزمان لدى كل فئة خط معين مبسط سريع، استعاضت به عن الخط السطرنجيلي القديم الموحد،وعليه فالخطوط السريانية هي:

1- الخط السطرنجيلي: وهو الخط الأول السرياني، نشأ كما رأينا في فجر العهد المسيحي أو في القرنين

السابقين له، وبه كتبت كل النقوش، ودونت كل الكتب في الأجيال المسيحية الأولى. وبعد أن نشأت للسريان أقلامهم البسيطة السهلة خصص الخط السطرنجيلي لتدوين الأناجيل ،ومن أخذ تسمية "سطرنجيل".

2- **الخط الشرقي**: نشأ بين السريان الشرقيين، ولكن هل يمكن تحديد عهد ظهوره؟ ويبدو أنه كان مستعملا منذ الأجيال الأولى للكنيسة.(29)

ويرى (ديرنجر): أن الخط البسيط (الشرقي والغربي) قد نشأ منذ القرن السادس للميلاد.(30)

3- **الخط الغربي**: تجمع آراء الباحثين على أن الخط الغربي نشأ أيضا كأخيه الشرقي في القرن الثامن للميلاد، وقد نشأ على غرار الخط الشرقي نتيجة لتطور الخط السطرنجيلي في أوساط السريان الغربيين خلال عدة قرون ابتداء من القرن السادس الميلادى.

والجدير بالذكر والملاحظة أن الخط الغربي في المراحل الأولى من تطوره كان شبيها بالخط الشرقي في الفترة نفسها، ومال إلى التدوير على غرار الشرقي في مراحله الأولى، إلاّ أنه لم يرجع إلى التربيع كالشرقي، بل أكمل مسيره نحو التدوير ، حتى غدا مدورا تماما في القرن الحادي عشر الميلادي.(31)

4- **الخط السرياني الفلسطيني، وينقسم إلى قلمين:(32)**

ا- **الفلسطيني**: يذكر البحاثة (ديرنجر) عن نشوء هذا الخط، أن من المستشرقين من يقول إنه من أصل يوناني.وبعضهم يذهب إلى أنه منحدر من التدمري.ومنهم من يرى أنه أخذ من الخط العبري المربع في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

ب- **الملكي**: يشبه بعض الباحثين هذا الخط الذي نشأ في المناطق الغربية الجنوبيةمن سورية بخط سرطا، ومنهم من يرى أنه شبيه بالخط الشرقي وهو الرأي الأصوب لوجود التربيع فيه، ومن بين آثاره الكتابية مخطوطة في مكتبة أكسفورد.

وأخيرا لقد أفرد صاحب اللمعة الشهية الباب الثاني عشر من كتابه مجملا فيه الكلام عن الكتابة السريانية لدى الشرقيين ولدى الغربيين فقال:

" مما تقدم من الشرح إلى الآن يتضح أن الكتابة السريانية من جهة ضبط الحروف وما يلحق بها قد تغيرت من زمن إلى زمن، ومن حقب إلى حقب، حتى آلت اليوم إلى الحال التي نراها عليه. فلنجمل الكلام في حال الكتابة اليوم لدى الشرقيين ولدى الغربيين، لتزيد الفائدة فنقول:

"إن الشرقيين يكتبون بالقلم المسمى النسطوري فقط، ومنذ نحو ثلاثمائة سنة كل كتابتهم مشكّلة بالحركات النقطية، لا يهملونها أبدا إلاّ نادرا جدا.ويرسمون دائما نقطة التركيخ ونقطة التقشية، ما لم تمنعها حركة الحرف، إلاّ الكاف في آخر الكلمة فإنهم لا يرسمون عليها نقطة لا من فوق ولا من تحت.

ويرسمون النقطة الكبيرة مع الأفعال ومع الضمائر ولكن كثيرا ما يهملونها.ويرسمون علامة الإسقاط دائما إلاّ في آخر الكلمة وإلاّ على هاء الضمير ويرسمون دائما علامة المهجّي.

وأما الغربيون فمنذ أكثر من خمسمائة سنة يكتبون بالقلم المسمى اليعقوبي. وقد يكتبون عناوين كتبهم بالقلم السطرنجيلي، ولا يشكّلون كتبهم إلاّ نادرا وذلك بالحركات اليونانية ،إلاّ أن الفتاح والزقاف والزلام قد يرسمونها بالنقط ولا ينقطون الركاخ والقشاي إلاّ أحيانا، وإذا نقطوها فلايستثنون من أحرف ﻫ و د ﻟ شيئا، وهم أشد ضبطا للنقطة الكبيرة. وقلما يستعملون علامة الإسقاط،ولا يعرفون المهجي إلاّ في فعل الأمر من المزيدات. وكلا القبيلين يميزان أبدا بالنقطة الكبيرة الدالث من الريش. وهاء ضمير المؤنثة الغائبة. ويرسمان السيامي. ويميزان أجزاء الكلام بنقطة واحدة أو أكثر تكتب في آخر الجملة، أو جزء الجملة. ويفصلان الكلمات بعضها من بعض بمسافة يسيرة. ويستعملان في كل كتبهم الحبر الأحمر مع الأسود. ويكتبان حروف الكلمة برمتها ولا يختصران الكتابة إلاّ في ألفاظ نادرة جدا. وعلامة الاختصار خطيط مستقيم مواز يرسم فوق الحرفين الأخيرين من الكلمة، والشرقيون يكسرونه في وسطه نحو تحت"(33)(شكل 9).

– الكتابة العربية وتطورها:

كانت النظريات في نشأة الخط العربي مختلفة، إذ كان مبدأ النشأة مجهولا وهذا أمر طبيعي، إذ لم يكن قد تمّ الكشف عن الآثار التي تظهر أصل هذه الكتابة.وسأورد في هذا البحث أقوال بعض المؤرخين من العرب ومن غير العرب ثم أستعرض بعض النقوش المكتشفة التي توضح جذور الكتابة العربية.

أولا: أقوال المؤرخين العرب: لقد حاول المؤرخون القدامى البحث في أصول الكتابة العربية، فرووا في ذلك روايات مختلفة...

ا– الرواية الأولى: يقول البلاذري:"حدثني عباس بن هشام بن محمد بن سائب الكلبي عن أبيه عن جده،وعن الشرقي بن القطامي قال: اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة(34) وهم: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة (35) فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية. فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار. وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي، ثم السكوني صاحب دومة الجندل، يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانيا، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ثم أتى إلى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء.." (36)

ب– الرواية الثانية: يذكرها قسم من الكتاب الأقدمين كالقلقشندي وابن النديم ومفادها: أن أول من وضع الخط العربي وألف حروفه ستة أشخاص من العرب العاربة من طسم كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وأسماؤهم : " أبجد- هوز- حطي-كلمن-سعفص-قرشت" فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي: الثاء المثلثة والخاء والذال والظاء

والغين والضاد المعجمات... ثم انتقل عنهم إلى الأنبار،واتصل بأهل الحيرة وفشا بين العرب.(37)

ولا أريد أن أعلق على هذه الرواية إلاّ بأنها إلى الخيال أقرب منه إلى الحقيقة، وربما كان فيها بعض الصحة لكنها ضاعت في ثنايا تلك التزهات..

جـ- الرواية الثالثة: ويرى قوم أن الخط العربي جاء من اليمن إلى النبط والحيرة ومنها إلى الحجاز. (38). إن الخط العربي الجنوبي الذي سمي بالمسند استعمل منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وقد اشتهر في الجنوب في عهد مملكتي سبأ ومعين، ولا يزال حتى الآن يستعمل في الحبشة.

نعود إلى ابن النديم الذي هو أكثر المؤرخين العرب القدامى تحدثا عن أصل الكتابة والخط العربي فقال: " قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة وبخطه: أخبرني قوم من علماء مضر قالوا : الذي كتب هذا العربي الجزم رجل من بني مخلد بن النضر بن كنانة فكتبت حينئذ العرب..."(39)

هذا النص يلفت النظر، ففيه أولا ورود كلمة(الجزم) يعني هذا أن العرب اقتطعوا واختزلوا حروف الخط المسند اليمني،واستنبطوا منه الأبجدية العربية ويبدو أن ابن النديم كان مقتنعا بهذه الفكرة، حتى إنه رسم الحرف المسند، وفي وسطه الحرف العربي، ليبين كيف جزم الحرف العربي من المسند.

ولعل ابن خلدون كان أوضح الكتّاب العرب في بيان الصلة بين الخط الحميري والخط العربي حينما قال: "وكان الخط العربي بالغا مبالغة من الأحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق..." (40)

إذن انتشر هذا الخط في شبه الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها، إذ اكتشفت منه كتابات عديدة لأحقاب مختلفة في أكثر أنحاء الجزيرة، ويتفوق هذا الخط بالتنسيق على كل الأقلام القديمة(41).(شكل6) و(شكل11)و(شكل 12).

مناقشة:

بعد هذا العرض السريع لتاريخ الخط العربي الجنوبي (المسند) يمكن التساؤل هل من الممكن أن يكون قد أعطى الحياة للخط العربي الذي تبناه الإسلام والذي لا يزال يستعمل حتى الآن؟

يقول بعض الباحثين أن الخط العربي لا ينحدر من المسند بل من خطوط اللهجات الآرامية التي كانت شائعة قبيل الدعوة الإسلامية في بادية الشام وفي ما بين النهرين وذلك لأن نقوش الخط المسند تخالف رسوم الكتابة العربية، ثم لأن الخط العربي الجنوبي منفصل الحروف، والخط العربي الحجازي متصلها، وغير ذلك من الفروق.

ثانيا: أقوال المؤرخين غير العرب:

ا- النظرية الأولى: سادت في النصف الأول من هذا القرن بين العلماء المستشرقين المهتمين بنشأة الخط العربي بناء على المشاهدات المكتشفة فكرة تتلخص ، بأن الخط العربي تطور من الخط النبطي المتأخر، وقد أوردوا الأدلة على ذلك من النقوش المكتشفة في النمارة وأم الجمال وغيرهما مما

سنأتي إلى تفصيله.

فلقد عثر الباحثون المستشرقون في بقاع غير بعيدة من منطقة الصفا قرب حوران على خمسة نقوش ترقى إلى ما قبل الإسلام، الأول باللغة الآرامية والأربعة الأخرى باللغة العربية أو قريبة من العربية، من حيث المادة اللغوية والأسلوب ودونت هذه النقوش بالقلم النبطي المتأخر، الذي يتطور شيئا فشيئا آخذا شكلا جديدا مستقلا هو الخط العربي(42).ويرى بعضهم أن هذا الخط العربي الأول قريب من الكوفي. أما إسرائيل ولفنسون فيقول:" وفيه نجد حروفا متصلة بعضها ببعض كما هو الشأن في الخط العربي، وهذه ظاهرة غير مألوفة في أي من الخطوط النبطية القديمة"(43).

ب– النظرية الثانية: ولكن ظهرت نظرية جديدة سنة 1963 كان زعيماها ميليك وستاركي مفادها أن الخط العربي تطور من الخط السرياني. وقد اعتمدا في الاتجاه إلى هذا الرأي على النصوص التاريخية القديمة التي ذكرها هشام بن محمد السائب الكلبي والبلاذري وابن النديم وياقوت الحموي ومن نقل عنهم كابن خلدون والقلقشندي والمقريزي(44).

فقد عرض ستاركي أمثلة تدل على الشبه بين الخط السرياني السطرنجيلي والخط العربي القديم، وكان دليله أن هذه النصوص العربية القديمة وجدت في بلاد الشام بعد انقراض الدولة النبطية بعدة قرون،واستدل–من أجل تأييد وجهة نظره– على الشبه الظاهري بين الخطين السرياني والعربي القديم ويتلخص فيما يلي:

1– بعض الحروف العربية متصلة كالسريانية، بينما النبطية تظل مستقلة.

2– الحروف العربية تنتظم على سطر واحد كالسريانية، بينما الحروف النبطية لا تخضع لهذا الانتظام، فهي تعلو وتنخفض عن السطر.

3– بعض الحروف العربية هي الحروف السريانية نفسها شكلا ولفظا: الألف والدال والراء والميم والشين والغين والهاء ذات العقدتين.

4–المصادر التاريخية العربية القديمة تؤيد هذا الاتجاه، فهي تذكر أن العرب تعلموا الخط من الحيرة والأنبار (45).

لا أريد أن أناقش هذه النظرية الآن، ولكني أقول إن المطران إقليس يوسف داود تناول هذه الفكرة بشيء من التفصيل في كتابه اللمعة الشهية منذ أواخر القرن التاسع عشر، بمعنى أنه سبق ميلّيك وستاركي بوقت طويل، ولا أدري فيما إذا كانا قد اقتبسا فكرتهما عن هذا الباحث؟ إذ يقول إقليس يوسف داود:

" ولا يهون علينا أن نختم هذا الفصل من دون أن نبحث عن الأبجدية العربية وقلمها فنقول : إنه من المؤكد التاريخي أن القلم العربي هو ناشئ عن القلم السرياني وذلك يظهر:

أولا: من المشابهة القوية التي بين حروف القلم الواحد الأصلي وهو الكوفي وبين حروف القلم الآخر وهو السطرنجيلي الذي كان شائعا يوم اتخذ العرب الكتابة.

ثانيا: يظهر ذلك من ترتيب الأبجدية لدى العرب إذ يقولون أبجد هوز حطي... الخ على نسق ترتيب السريان.

ثالثا: إن الحروف المقطوعة عما بعدها في القلم

السطرنجيلي هي بعينها مقطوعة في القلم العربي إلاّ الهاء والصاد والثاء.

رابعا: يتضح ذلك من عدد من صور الحروف فإنها اثنتان وعشرون صورة في العربية كما هي في السريانية، مع أن العربية حروفها أكثر من اثنين وعشرين.

فلما بدا للعرب أن يكتبوا كتبوا في الأول بالقلم السرياني السطرنجيلي نفسه أو النبطي المشتق منه. وإذا كانوا أمة قائمة بنفسها تغيرت حروف قلمهم(كما هي العادة في كل الأماكن وكل الأزمان ولا سيما الأمم السامية في أمر الخط) وزاغت عن حالها الأصلي شيئا فشيئا، كثيرا أو قليلا، حتى تولد من ذلك القلم القلم الذي كان شائعا في نحو القرن السابع للمسيح،أي في نحو زمان استيلاء العرب على البلاد، وهو القلم الكوفي، ثم تغير هذا القلم نفسه شيئا فشيئا حتى أفضى إلى ما هو عليه اليوم وهو الذي يقال له القلم النسخي..."(46) (شكل11) و(شكل12).

وعلى هذا يمكن القول إنه لا يمكن إنكار تأثر الخط العربي بالخط النبطي المتأخر، ولذلك نجد صاحب اللمعة الشهية لم يستبعد الخط النبطي من تأثيره في القلم العربي إذ ترك الباب مفتوحا. فإذا كان بعض الحروف السريانية والعربية متشابهة تقريبا، فهي من حيث المظهر في أكثرها لكن اللفظ مختلف تماما. بينما الحروف المتشابهة في الخطين النبطي والعربي ظلت في اللفظ واحدة،وإن التطور نحو التماثل بين الخطين واضح.

أما ما ورد في بعض المصادر التاريخية العربية القديمة عن نشأة الخط، وتعلم العرب الخط من الحيرة والأنبار، فإنه يتكلم عن الخط قبل الإسلام بقليل.

وسنرى عندما تعرض النصوص العربية القديمة قبل الإسلام، أن كلمات بل جملا كاملة-هي بشكلها ومبناها ومعناها-عربية خالصة.فقد ذكرت جمل في نقش النمارة الذي يعد أقدم نص عربي، قد كتبت حروفه بخط نبطي متأخر، وبعضها بالخط المتطور مثل الجملة (فلم يبلغ ملك مبلغه).(47)

وربما كان لهذه النظرية وزن قبل اكتشاف كتابة جبل أسيس، إذ كانت هذه الكتابة عربية خالصة كما سنرى، ولكنها مع ذلك لم تخل من بعض التأثر الطفيف بالخط النبطي، حتى إن التاريخ كتب بالنبطية، كما هو الأمر في جميع النصوص المؤرخة فإذا كانت دولة الأنباط قد انقرضت -حسب ما قال صاحب النظرية- فهل انقرض الشعب النبطي نهائيا؟ واندثرت ثقافته؟(48)

في الواقع أنه لا يزال حتى الآن يستعمل البدوي كلمة (نبطي) في شعره العامي الملحون. ويجب أن لا ننسى أن أصل الخطين النبطي والسرياني واحد، فهما منحدران من الخط الآرامي، بخلاف ما يقوله صاحب اللمعة الشهية: إن الخط النبطي متولد من السرياني فليس من الضروري أبدا أن نتشبث بالأخذ بإحدى النظريتين من أجل فكرة معينة كبيان فضل المسيحية على هذا التطور، الأمر الذي لا ينكر كذلك.(49)

ثالثا: النقوش المكتشفة:

لقد عثر المستشرقون الآثاريون في بقاع غير بعيدة من منطقة الصفاة على نقوش ترقى إلى ما قبل الإسلام، الأولى باللغة الآرامية والأخرى باللغة العربية أو قريبة من العربية، من حيث المادة اللغوية والأسلوب، ودونت هذه النقوش بالقلم النبطي المتأخر الذي يتطور شيئا فشيئا

آخذا شكلا جديدا مستقلا هو الخط العربي، ويرى بعضهم أن هذا الخط العربي الأول قريب من الكوفي، "وفيه نجد حروفا متصلة بعضها ببعض كما هو الشأن في الخط العربي، وهذه ظاهرة غير مألوفة في أي من الخطوط النبطية القديمة " (50).

وسأستعرض هنا بعض هذه النقوش المكتشفة مع كتاباتها بالخط العربي ، وترجمة ما يحتاج منها إلى الترجمة.

1- كتابة أم الجمال الأولى:

وتسمى نقش (فهر برسلي) وتقع أم الجمال في جنوبي بصرى الشام على بعد خمسة وعشرين كيلا، نشرها (أنوليتمان)(51) مع النصوص النبطية.

وهذه الكتابة غير مؤرخة ويمكن أن تكون في حدود الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي لأن جذيمة المذكور في النص ، ربما كان هو جذيمة الأبرش، أحد ملوك الحيرة التنوخيين الذي حارب الزباء ملكة تدمر. والكتابة نصها آرامي وقد كتبت بالخط النبطي المتأخر (52).(شكل 13).

1- هذا قبر فهر 1- دنه نفشو فهرو

2- بن سلى مربي جذيمة 2- برسلي ربوجذيمة

3- ملك تنوخ 3- ملك تنوخ

لاحظنا أن ترجمة السطر الأول (دنه نفشو فهرو) إلى (هذا قبر فهر). ولكن كلمة (نفشو)بالآرامية تعني (نفس) أو(روح) بالعربية فلو قلنا بالترجمة: هذه نفس أو روح فهر،لكان ذلك أقرب إلى النص الحرفي للنقش، لأن هذه العبارة- روح ونفس- ما يزال يكتبها النصارى على قبور موتاهم حتى الآن ولو زدنا حرف الميم بعد(سلى) في السطر الثاني لاتضح الاسم أكثر. ولو قلنا بدل(مربى) رب أي رئيس أو شيخ لكان أقرب في المعنى.

ورأينا أن بعض الأسماء في الآرامية لحقتها الواو مثل: نفشو، فهرو، ربو، وهذه الظاهرة ما زالت موجودة لدى مدن وأرياف الجهة الغربية من سورية فنراهم يقولون: كرمو، سلمو، فخرو...الخ.

2- كتابة النمارة:

2-النمارة قصر صغير من العهد الروماني يقع في الطرف الجنوبي من وادي الشام الجاري بين جبل حوران إلى الشمال الشرقي نحو البادية.

ونقش النمارة يسمى نقش(امرئ القيس)(53) فهو لقبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب وهو ثاني ملوك الحيرة، وجد المناذرة، وهذا النص خليط بين الآرامية والعربية إلاّ أن العربية تتغلب فيه، وهو يرقى إلى سنة 328م، وخطه النبطي المتأخر يوحي ببعض خواص الخط العربي. وقد نقشت هذه الكتابة على نحت الباب وهو من الحجر البازلتي، اكتشفته بعثة فرنسية، في سفح المنحدر المؤدى إلى الوادي في مطلع القرن الحالي، ونقل الحجر إلى متحف اللوفر في باريس، ثم حصل متحف دمشق على نسخة جصية من هذه الكتابة،وعرضت النسخة أخيرا في متحف الخط العربي بدمشق(54) وهذه الكتابة رقمت بالخط النبطي المتأخر وبلغة عربية مشوبة بشيء من رواسب الآرامية، وهذا واضح من وضع الواو في آخر المفردات وخاصة أسماء الأعلام،وأن الألف تحذف من قلب هذه الأسماء. (شكل 15).

الترجمة:

1-هذه نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج.

2- وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهرّب مذحج القوية وجاء

3- يرجي في حبج نجران مدينة شمر وملك معدا وأنزل بينه

4- الشعوب ووكلهم الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- قوة، هلك سنت 223 يوم 7 أيلول، ليسعد أولاده(55).

3- كتابة حران الجنوبية:

وهي حران اللجا تقع في المنطقة الجنوبية من سورية شمالي جبل حوران، كتبت باليونانية والعربية على حجر وضع فوق باب كنيسة يرتقي تاريخه إلى سنة 568م، خطه عربي واضح، وفي نصه صفاء في جميع كلماته وتعابيره، إذ لا توجد فيه أية لفظة آرامية.(56)(شكل 14)

النص

1- أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول(57)

2- سنة 463 (بالتقويم النبطي)بعد مفسد(58)

3- خيبر

4-بعام (59)

4-كتابة أم الجمال الثانية:

وجدت هذه الكتابة منقوشة على حجر بازلتي في أم الجمال في المبنى الذي يسمى الكنيسة المزدوجة،والنص غير مؤرخ،وقدر تاريخه بالقرن السادس إذا تأملنا حروفه كالراء والدال والباء في أول الكلمة وفي آخرها،وجدنا أن آثار الخط النبطي المتأخر واضحة.(60) (شكل 16).

1-الله غفر لأليه أو(اله غفرا لأتيم)

2- بن عبيده كاتب

3- الخليد أعلى بنيه أو(العبيد أعلى بني)

4- عمرى كتبه عنه من أو(عمرى ينم عنه من)

5- كتابة أسيس:

جبل أسيس حرة بركانية واسعة تقع إلى شرقي دمشق على بعد مئة كيل تقريبا، يقوم في الجهة الشرقية منها قصر بناه الوليد بن عبد الملك.

قامت بعثة برئاسة الدكتور كلاوس بريش بالتنقيب ما بين عامي 1962-1964. يقول د/أبو الفرج العش: "وجدت منقوشا على جلاميد الصخر البازلتي عددا كبيرا من الكتابات الصفوية المحوّرة عن الخط المسند اليمني.(61)(شكل 17).

1-ابراهيم بن مغيرة الأوس

2- أرسلني الحارث الملك على

3-سليمن مسلّحه سنت

4-423(نبطي)=528م

هذه الكتابة والتي قبلها تذكرنا بقول ابن النديم حول كتابة عربية قبل الإسلام، وصفها بقوله: "وكان الخط شبه خط النساء" وكانت الكتابة بخط عبد المطلب بن هاشم يريد أن يقول إنها كتابة غير متقنة(62).

نلاحظ هنا أن شبها كبيرا بين كتابة أسيس، وبين كتابة حران الجنوبية،وهما من منطقة واحدة وربما كانتا ترتقيان إلى تاريخ قريب بينهما.

يستنتج مما سبق أن نقش النمارة ليس خطا عربيا بل

هو نقطة انطلاق نحوه إذ بدأت ملامحه تبدو وشخصيته تظهر في نقش حران المؤرخ سنة 568م، ثم انتشر في شمال شبه الجزيرة في منطقة بادية الشام، ومن ثم انتشر وغزا المدن العربية التي كانت محور التجارة كالحيرة والأنبار ومكة والمدينة. ويرى بعضهم أن الكتابة جاءت إلى الحجاز من الحيرة ، وأن بشر بن عبد الملك وعبد الله بن جدعان خرجا من الأنبار إلى مكة ونشرا الكتابة،وأول من تعلمها حرب بن أمية،ثم انتشرت بين جماعة قريش، فتعلم منهم أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ويروى أنها انتشرت في المدينة قبل انتشارها في مكة (63).

إذن أخذ العرب حروفهم الهجائية- على ما يبدو- عن الآرامية وبخاصة عرب الشمال. وإن حروف اللغات السامية أصلا اثنان وعشرون حرفا، إلاّ أن في بعضها ستة حروف لها لفظان: اليابس وهو الأصل واللين وهو اللاحق، وذلك كالسريانية وهذه الحروف هي: ب ج د ك ف (p اللاتينية) ت ولفظها الثاني هو (v اللاتينية) غ ذ خ ف ث. فأضاف العرب إلى الإثنين والعشرين حرفا- كما فعل السريان- الحروف المعبرة عن الأصوات الموجودة في اللغة العربية وليست في الأبجدية الأصلية وهي:ذ ض ظ خ ث غ وسموها الروادف. فحرفا ذ،ث أخذهما العرب من د،ت، أما غ فأخذوه من ع وليس من ج(المصرية) كما هو الحال في السريانية وكذلك أخذوا خ من ح وليس من ك، أما ض و ظ فألحقوهما بـ ص،ط ونبذوا حرفين ليسا لهما صوت في لغتهم وهما ڤ-(V) وپ-(P) (64)(شكل 18).

وفي ختام هذا البحث أود أن أنقل ما كتبه صاحب اللمعة الشهية حول عبقرية العرب في تطوير خطهم الذي استطاعوا بواسطته أن يعبروا عن أصوات لغتهم التي تفوق عدد حروفه في بادئ الأمر بمرتين، فقد كتبوا لغتهم بخمسة عشر حرفا فقط في حين نجد لغات أخرى اقتبست حروفها من الفينيقية كاليونانية ثم اللاتينية ولكنها وقعت في مشكلات تضاعف الحروف لتعبر عن صوت معين كإضافة السين والهاء أو الكاف والهاء أو السين والكاف والهاء، أو غير ذلك لتعطي صوت الشين في حين أن العربية عبرت عن صوت الشين بحرف السين نفسه مع إضافة ثلاث نقط عليه،وهذا بلا شك يدل على الحكمة والحذاقة. قال:" وأما العرب فلما أرادوا تصوير حروفهم التي لا توجد في اللغة السريانية (الآرامية لأنه يقول بذلك) لم يرتكبوا هذا الشطط الموجب البلبلة، لكن أظهروا حذاقة فيلولوجية فائقة لم يضاهيهم بها أمة من الأمم القديمة فإنهم مع جهلهم بعلم اللغات، وخصوصا وأن لغتهم ولغة السريان أصلهما واحد، فإذا اعتبروا أن الذال تقارب الدال في مخرجها اكتفوا بصورة الدال وجعلوها علامة للدال والذال معا، وكذلك فعلوا بالخاء مع الحاء والظاء مع الطاء، والغين مع العين،و الضاد مع الصاد، والثاء مع التاء.. وهذه القاعدة التي اتخذها العرب لتصوير حروفهم الخصوصية تتأيد وتتضح صحتها بمقابلة اللغة العربية باللغة السريانية، فإنه من ذلك يتضح أن كل زوج من هذه الحروف التي عددناها يلفظ عند السريان لفظا واحدا، فإذا ساوى السريان الزوج الواحد في اللفظ في أول الزمان، ساواه العرب في الخط في آخر الزمان.

وانظر كيف كان العرب فلاسفة حتى اعتبروا هذا الاعتبار الفيلولوجي الدقيق ومما يقضي بالعجب أكثر ما يكون أن العرب لما أتوا إلى تصوير الضاد المختصة بلغتهم ولا توجد في لغة أخرى من لغات العالم، لم يتخذوا لها صورة العين التي بها يلفظ السريان الضاد العربية، لكن اتخذوا لها صورة الصاد التي بها يلفظ العبرانيون الضاد العربية ، لأن الصاد تقرب إلى الضاد في لفظها أكثر من العين وعكس ذلك فعلوا بالظاء، فإنهم لم يصوروها بالصاد كما يلفظها العبرانيون لكن صوروها بالطاء كما يلفظها السريانيون، وذلك لأن لفظ الطاء أشبه بالظاء من الصاد. ففي أول الأمر كان لكل زوج من الحروف العربية المذكورة صورة واحدة،ثم بكثرة الاستعمال تقاربت أيضا صور غير هذه الأحرف إلى صور أحرف أخرى، كالجيم إلى الحاء،والزاي إلى الراء، والشين إلى السين، والقاف إلى الفاء، وتشابهت صور النون والياء والباء والتاء بعضها ببعض في حشو الكلمة وأولها خاصة، وهكذا وجد كثير من صور الأبجدية كل منها علامة لحرف واحد أو أكثر، وصارت الحروف العربية التي هي ثمانية وعشرون في لفظها يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط، وهذا عيب معتبر بالحقيقة، ولكنه ينسب إلى الكتّاب لا إلى أيمة الأمة.(65)

وبقي العرب على هذا زمانا ثم رأوا من الواجب تمييز الحروف المتشابهة الصور المختلفة اللفظ بشيء يرفع الالتباس، فاخترعوا لذلك طريقة التنقيط ولكن بعد اختراع هذه الطريقة أيضا كتبت كتب كثيرة على الطريقة القديمة بلانقط".

إلى هنا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث راجيا إضاءة جوانب الموضوع ولو بنور بسيط، محاولا بذلك ربط العلاقة بين الكتابتين السريانية والعربية، مع ملاحظة اختصاص كل واحدة منهما بشخصيتها المتميزة ،وأن العربية قد اختطت لنفسها طريقا بعيد المدى وبخاصة في تفرع خطوطها وتطورها نحو الأجمل والأرشق والأكثر تمكنا من المهارة.(شكل 19).

الحواشي

1و2و3- صنا أندراوس، 1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الأول، 130-133.

4- باقر طه،1945 ،أصل الحروف الأبجدية، مجلة سومر، بغداد،مج 1،ج2،ص41.

5- صنا أندراوس،1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، مج1،ص134.

6- باقر طه،1945، أصل الحروف الأبجدية،مجلة سومر، بغداد،مج 1،ج2،ص5-55.

7- انظر شكل-1-و-2-و-3-و-4.

8-صنا أندراوس،1977،نشوء الخط السرياني، مجلة مجمع اللغة السريانية،بغداد،مج3،ص6. نقلا عن :ميرسيه وفيفرييه ودرينجر.

9-المرجع السابق نفسه ،ص8.

10-داود اقليمس يوسف،1896، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية،ط2،دير الآباء الدومنكيين، الموصل،128/1.

11و12- المرجع السابق نفسه،ص129-130.

13- صنا أندراوس،1976،اللغة الآرامية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، مج2،ص11.

14-انظر ولفنسون إسرائيل،1929، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة،153.

15-المرجع السابق نفسه،ص153، وانظر الشكلين 2،3.

16- صنا أندراوس،1977، نشوء الخط السرياني،مجلة مجمع اللغة السريانية،مج 3،ص17-20.

17- المرجع السابق نفسه،ص21. وينظر شكل-7-.

18و20- المرجع السابق نفسه،ص22. وينظر شكل-8-.

19و21- انظر المرجع السابق نفسه،ص22-24.

22-المرجع السابق نفسه،ص30 مقتبس عن: كانتينو،دوفال،فيفرييه،درينجر،بيرين...

23- المرجع السابق نفسه،ص30.

24- المرجع السابق نفسه،ص31.

25- المرجع السابق نفسه ،ص32.

26- ابن النديم ، بلا تاريخ، الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة،ص24.

27- لفظة سريانية معناها مدرسي،وهي شبيهة بكلمة School الانكليزية.

28- كلمة سريانية تطلق على الخط الغربي.

29- داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،133/1.

30- صنا أندراوس،نشوء الخط السراني، مجلة مجمع اللغة السرانية،مج 3،ص39.

31-المرجع السابق نفسه،ص39.

32- داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،138/1.

33- انظر المرجع السابق نفسه،324/1-326.

34- كانت بقة من أرباض الحيرة يقام فيها سوق من عهد الجاهلية- مجلة لغة العرب 428/2.

35- يعلق الأب أنسطاس الكرملي فيقول: إن هذه الأسماء الثلاثة هي آرامية في الأصل، فلما جهل العرب معناها ظنوها أعلاماً لهم فعرفوهم بها.فإن مرامر بن مرة منحوتة من " مارامارى برمارى" ومعناها سيد السادة بن السيد. وبعبارة عربية تقابل معنى الآرامية مقابلة صادقة: " شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم". ومعنى أسلم بن سدرة" التام العلم الخطاط" وهي تصحيف " شليما.برسدرا". ومعنى عامر بن جدرة فهو" العمار الحاذق أو الماهر" وهي تصحيف " عمرايا برجدرا"، مجلة لغة العرب،428/2هـ3.هامش.

36-ثم إن ابن النديم يروي في الفهرست(ص4-5) والقلقشندي ج3،ص12 وابن دريد في الاشتقاق ص372، عن ابن عباس قوله:"إن ثلاثة رجال من بولان (وهي قبيلة سكنت الأنبار) اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة"، وإن بشرا بن عبد الملك الكندي هو الذي علم خطنا هذا أهل الأنبار، وتعلمه من مرامر بن مرة وخرج بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب، فعلم أبا سفيان هذا الخط ورجالا من أهل مكة اهـ.

37- القلقشندي أحمد،1914 ، صبح الأعشى،ط1، المطبعة الأميرية بالقاهرة،12/3.

38- ناصف حفني،1910،تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية،ط1، الجامعة المصرية بالقاهرة،ص64-70.

39- ابن النديم، الفهرست،ص4.

40- ابن خلدون، بلا تاريخ، المقدمة ، المكتبة التجارية بالقاهرة،ص418.

41- ولفنسون، تاريخ اللغة السامية،241.

42- باقر طه،1945،أصل الحروف الأبجدية ونشوءها، مجلة سومر، بغداد،مج1،جـ2،ص56-59.

43- ولفنسون،تاريخ اللغات السامية،ص201،199.

44- العش أبو الفرج،1978، نشأة الخط العربي وتطوره، المجلة العربية، السنة الثانية،العددان10،11، الرياض،ص225.

45- المرجع السابق نفسه ،ص226.

46-داود،اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،143/1-144.

47- العش أبو الفرج، نشأة الخط العربي وتطوره،ص227.

48-49- المرجع السابق نفسه، ص 227.

50- ولفنسون ،تاريخ اللغات السامية،ص 199.

51- العش، نشأة الخط العربي وتطوره ،ص227.

52- ولفنسون ،تاريخ اللغات السامية،ص139.

53- مجلة سومر،مج1،ج2،ص57.

54- العش، نشأة الخط العربي وتطوره ، العددان 10-11،ص227.

55- المرجع السابق نفسه ، ص228

56- ولفنسون،تاريخ اللغات السامية ونقشبندى ناصر،1947،منشأ الخط العربي وتطوره مجلة سومر،مج3،جـ1،بغداد، ص132.

57- ظلموا (ظالم) والمرطول (القصر).

58- 463 نبطي تقابل 568م.

59 - بعام وردت في النص(بعم).

60- انظر نقشبندي ناصر،مجلة سومر،مج3،جـ1،132-133. والعش أبو الفرج، نشـأة الخـط العربـي وتطـوره، المجلـة العربيـة، العـددان10-11،ص229،وصنا أندراوس،1978،نشوء الخط العربي، مجلة مجمع اللغة السريانية،مج4،بغداد،ص19.

61- العش أبو الفرج،نشأة الخط العربي وتطوره ،ص230.

62- ابن النديم، الفهرست، ص5.

63- نقشبندي،ناصر،منشأ الخط العربي وتطوره ،مجلة سومر،مج3،جـ1،ص133-134.

64-صنا أندراوس،نشوء الخط العربي،مجلة مجمع اللغة السريانية،مج4،ص26.

65-داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،1/146 وما بعدها.

ثبت المراجع

1-ابن النديم بلاتا، الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة، 542ص.

2-ابن خلدون، عبد الرحمن، بلاتا، المقدم ، المكتبة التجارية ، القاهرة،560ص.

3- باقر طه، 1945، أصل الحروف الأبجدية، مجلة سومر، بغداد،مج1، ج2.

4- داور اقليمس يوسف،1896، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، الطبعة الثانية الدومنكيين بالموصل،500ص.

5- صنا أندراوس، 1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الأول.

6- صنا أندراوس، 1976، اللغة الآرامية،مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الثاني.

7- صنا أندراوس،1977،نشوء الخط السرياني،مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الثالث.

8- صنا أندراوس،1978،نشوء الخط العربية،مجلة اللغة السريانية،بغداد، المجلد الرابع.

9- العش أبو الفرج، 1978،نشأة الخط العربي وتطوره، المجلة العربية، الرياض،العددان10-11.

10- القلقشندي أحمد،1914،صبح الأعشى، المطبعة الأميرية بالقاهرة،مج3/532ص.

11- ناصف حفني،1910،تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، الجامعة المصرية بالقاهرة،160ص.

12- نقشبندي ناصر،1947،منشأ الخط العربي وتطوره،مجلة سومر،بغداد،مج3، ج1.

13- ولفنسون إسرائيل،1929،تاريخ اللغات السامية،ط1،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،294ص.

وهناك مراجع أخرى لم ترد في الحواشي مثل:

14- رضا أحمد،1914، رسالة الخط، طبع في صيدا.

15- زين الدين ناجي، مصور الخط العربي،طبع المجمع العلمي العراقي،بغداد.

16- سوسة أحمد،1972، العرب واليهود في التاريخ،الطبعة الثانية،دمشق.

17- علي جواد،تاريخ العرب قبل الإسلام،طبع المجمع العلمي العراقي،بغداد.

18- يعقوب أغناطيوس الثالث، البراهين الحسية، طبع لبنان.

الأبجدية العربية الحالية	ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
الأبجدية العبرية القديمة	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤘	𐤇	𐤆	𐤃	𐤑	𐤈	𐤏
الأبجدية الآرامية القديمة	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏
الأبجدية الفينيقية القديمة	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤘	𐤇	𐤆	𐤃	𐤑	𐤈	𐤏
الأبجدية السامية الجنوبية	𐩠	𐩡	𐩢	𐩣	𐩤	𐩥	𐩦	𐩧	𐩨	𐩩	𐩪	𐩫	𐩬	𐩭	𐩮	𐩯	𐩰	𐩱	𐩲	𐩳	𐩴	𐩵	𐩸	𐩧	𐩦	𐩣	𐩱	𐩨	𐩯
الأبجدية السامية الشمالية الأولى	𐎀	𐎁	𐎂	𐎃	𐎄	𐎅	𐎆	𐎇	𐎈	𐎉	𐎊	𐎋	𐎌	𐎍	𐎎	𐎏	𐎐	𐎑	𐎒	𐎓	𐎔	𐎕	𐎘	𐎇	𐎆	𐎃	𐎑	𐎈	𐎏
الأبجدية السريانية الأسطرنجيلية	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏

شكل - ١ -
مقارنة بين الأبجديات القديمة

العربية	ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
الآرامية الأولى	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏
الآرامية المربعة (العبرية)	א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	ת	ח	ז	ד	צ	ט	ע
الآرامية النبطية	𐢀	𐢁	𐢂	𐢃	𐢄	𐢅	𐢆	𐢇	𐢈	𐢉	𐢊	𐢋	𐢌	𐢍	𐢎	𐢏	𐢐	𐢑	𐢒	𐢓	𐢔	𐢕	𐢘	𐢇	𐢆	𐢃	𐢑	𐢈	𐢏
الآرامية التدمرية	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏
الآرامية الحضرية	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏
الآرامية المندائية	𐡀	𐡁	𐡂	𐡃	𐡄	𐡅	𐡆	𐡇	𐡈	𐡉	𐡊	𐡋	𐡌	𐡍	𐡎	𐡏	𐡐	𐡑	𐡒	𐡓	𐡔	𐡕	𐡘	𐡇	𐡆	𐡃	𐡑	𐡈	𐡏
السريانية الطرنجيلية	ܐ	ܒ	ܓ	ܕ	ܗ	ܘ	ܙ	ܚ	ܛ	ܝ	ܟ	ܠ	ܡ	ܢ	ܣ	ܥ	ܦ	ܨ	ܩ	ܪ	ܫ	ܬ	ܬ	ܚ	ܙ	ܕ	ܨ	ܛ	ܥ
السريانية الشرقية	ܐ	ܒ	ܓ	ܕ	ܗ	ܘ	ܙ	ܚ	ܛ	ܝ	ܟ	ܠ	ܡ	ܢ	ܣ	ܥ	ܦ	ܨ	ܩ	ܪ	ܫ	ܬ	ܬ	ܚ	ܙ	ܕ	ܨ	ܛ	ܥ
السريانية الغربية	ܐ	ܒ	ܓ	ܕ	ܗ	ܘ	ܙ	ܚ	ܛ	ܝ	ܟ	ܠ	ܡ	ܢ	ܣ	ܥ	ܦ	ܨ	ܩ	ܪ	ܫ	ܬ	ܬ	ܚ	ܙ	ܕ	ܨ	ܛ	ܥ

الجدول رقم - ٢ - الرسوم الآرامية

لوحة -٤-
تطور الرسم الحرفي

الخط الآرامي القديم	القرن ٨ ق.م	
	القرن ٧ ق.م	
	القرن ٦ ق.م	
تدمري		
نبطي		
عبري		
حضري		
صدائي		
سرياني		

الخط الصدائي المدور والذي يكتب به صابئة العراق

شكل - ٢ -

شكل - ٥ -

أنواع الخطوط السريانية شكل -٩-

سرياني قديم	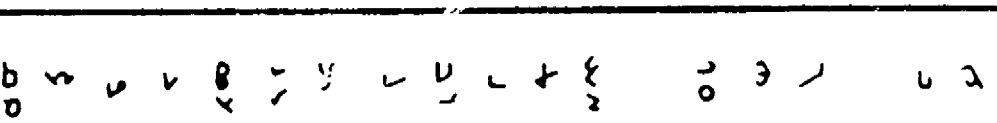
سطرنجيلي	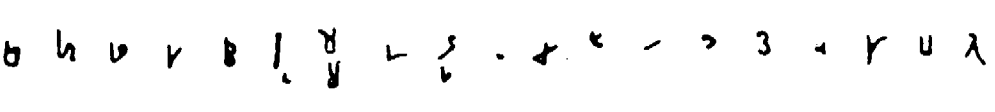
سرياني شرقي	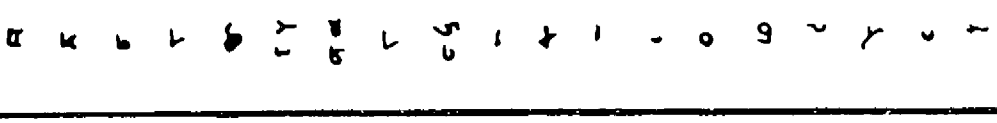
سرياني غربي	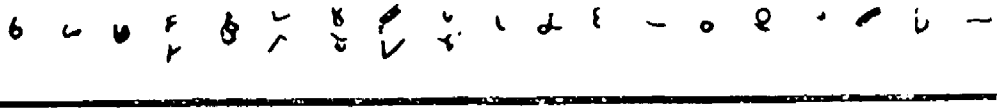
سرياني فلسطيني	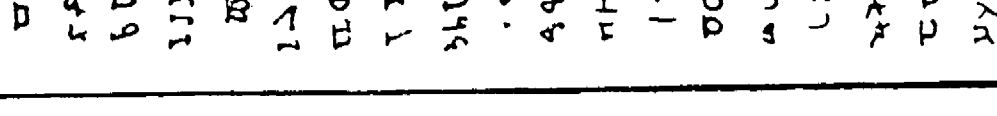

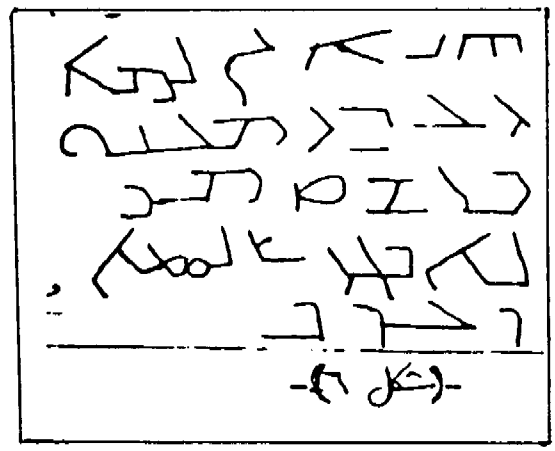

-(شكل ٦)-

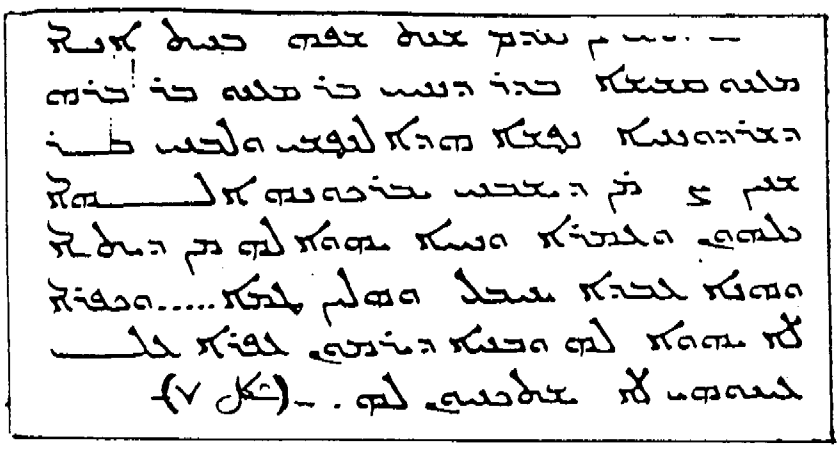

-(شكل ٧)-

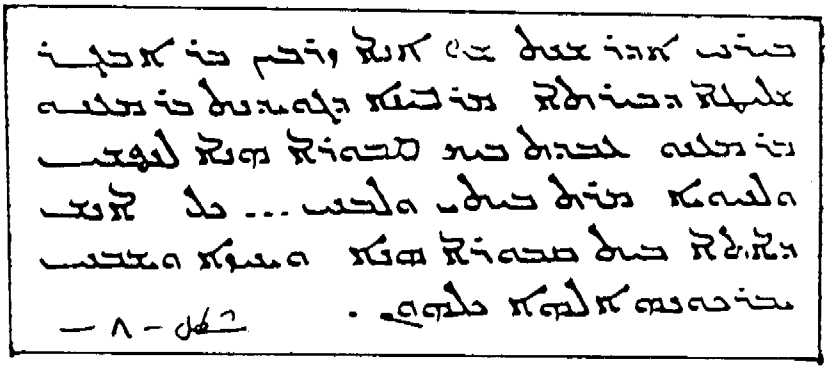

-شكل ٨-

لوحة (١٠)

(شكل١١)

الخط العربي الجنوبي « المسند »

نقش النمارة

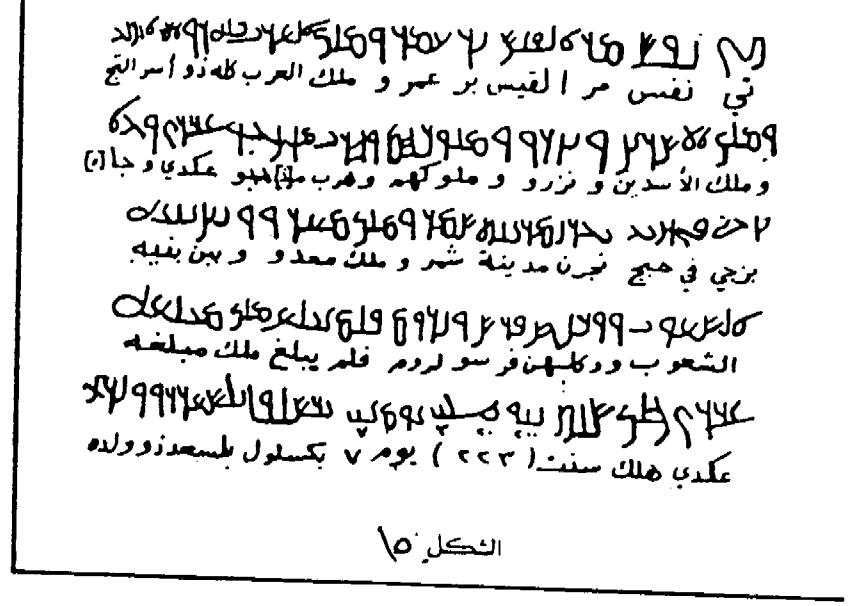

الشكل ١٥

العربي الحالي	النسخي الاول	الكوفي	العربي الاول	النبطي المتأخر	النبطي
ا	ا	ا ا ا	/ / /	٨ ٨ /	٨ ٨ ٨ ٨
ب	ب ب ب	ب ب ب	ب ب	٦ ٦ ٦	٦ ٦
ج	ج ج	ج ج	ج ج	٦ ٦ ٦	٦ ٦
د (ذ)	د	د د	د د	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ه	ه ه	ه ه ه	ه ه	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
و	و	و و و	و و	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ز	ز	ز ز ز	ز ز	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ح	ح ح	ح ح ح	ح ح	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ط (ظ)	ط	ط ط	ط ط	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ي	ي ي	ي ي ي	ي ي	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ك	ك	ك ك	ك ك	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ل	ل	ل ل	ل ل	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
م	م م	م م	م م	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ن	ن	ن ن	ن ن	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
س	س	س س	س س	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ع (غ)	ع	ع ع	ع ع	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ف	ف	ف ف	ف ف	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ص (ض)	ص	ص ص	ص ص	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ق	ق	ق ق	ق ق	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ر	ر	ر ر	ر ر	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ش	ش	ش ش	ش ش	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦
ت (ث خ ذ)	ت	ت ت	ت ت	٦ ٦ ٦	٦ ٦ ٦

(لوحة ١٢)

تطور الكتابة العربية

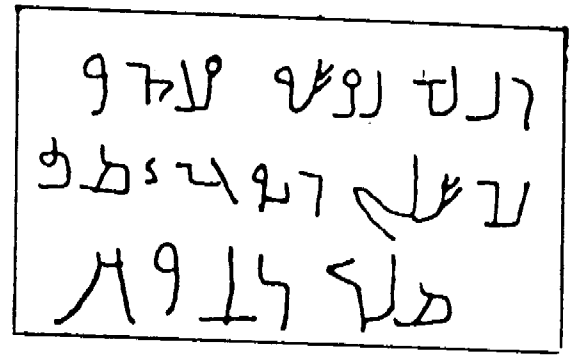

شكل ١٣

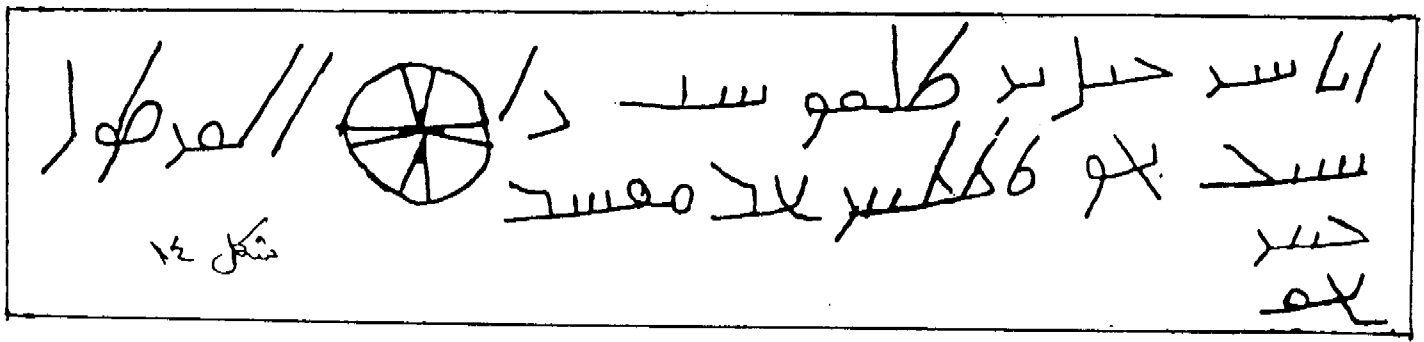

شكل ١٤

نقش أم الجمال الثاني

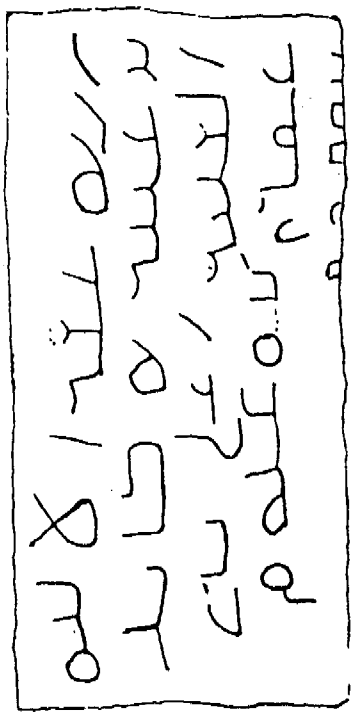

الشكل ١٦

كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد في جفنة الابيض بمحافظة في العراق مؤرخة سنة ٦٤ هجرية (شكل ١٩)

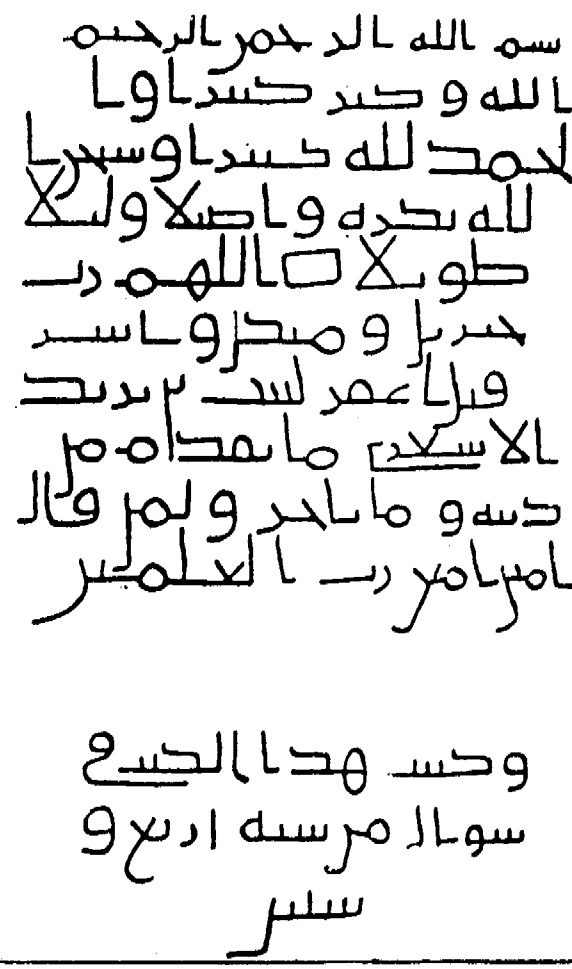

كتاب النبي الى منذر بن ساوا عامل كسرى على البحرين وقد حفظ في دمشق (شكل ١٨)

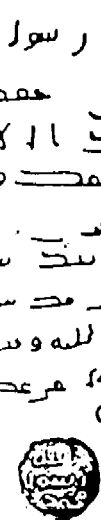

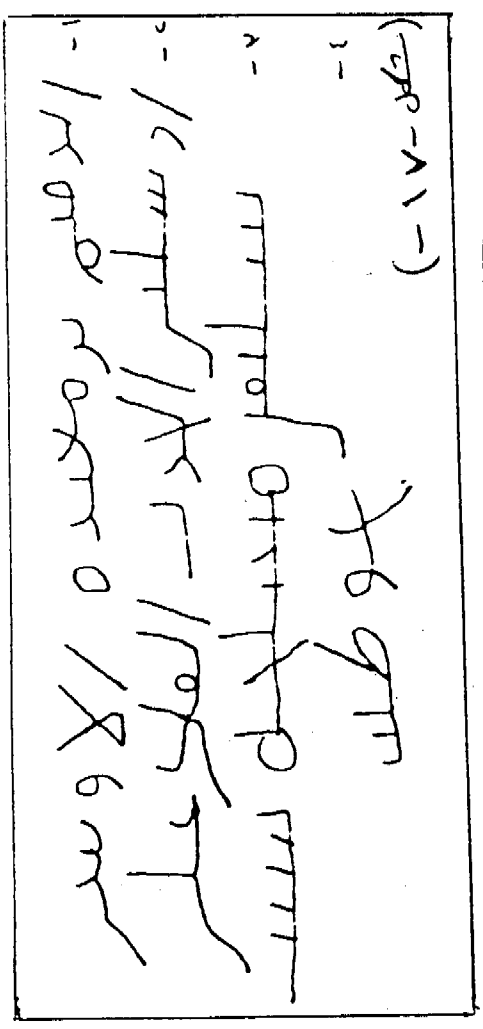

(شكل ١٧)